

تاريخ الإرسال (2016-04-27)، تاريخ قبول النشر (2016-05-22)

د. محمد مصطفى كلاب<sup>1</sup>\*

<sup>1</sup> أستاذ الأدب والنقد المشارك - قسم اللغة العربية -  
كلية الآداب - الجامعة الإسلامية - غزة - فلسطين

\* البريد الإلكتروني للباحث المرسل:

e-mail address: [mkollab@iugaza.edu.ps](mailto:mkollab@iugaza.edu.ps)

## عتبات النص في رواية (ستائر العتمة) لوليد الهودلي دراسة سيميولوجية سردية

### الملخص:

تشكل العتبات النصية مفاتيح إجرائية فاعلة للولوج في فضاء النص، والتأثير في متلقيه، ويهدف البحث إلى دراسة عتبات النص في رواية: (ستائر العتمة)، دراسة سيميولوجية سردية، للوقوف على طبيعة استثمار الكاتب للعتبات النصية في التعبير عن تجاربه، والكشف عن دورها في جذب اهتمام المتلقي، للدخول في فضاء المتن الروائي.

ويسمى الباحث إلى استخدام المنهج الوصفي التحليلي، لدراسة عتبات النص في رواية: (ستائر العتمة)، من خلال الحديث عن: مفهوم العتبات، وأنواعها، المتمثلة في: العنوان، والغلاف، والإهداء، والتنويه.

وقد خلصت الدراسة إلى أهمية العتبات النصية في عمليتي: الإبداع، والتلقي، وفاعليتها في فهم المتن الروائي، والولوج إلى خباياه، لمعرفة طبيعة تجربة الاعتقال التي عاشها المبدع.

### كلمات مفتاحية:

عتبات النص، سيميولوجية سردية، ستائر العتمة، وليد الهودلي.

## Narrative Orientations in the Novel *Sata'er Al-Etma* , a Semiotic Nnarrative Study

### Abstract

Narrative Orientations represent effective procedural keys to inter deeply into the text and affect its readers. This research aims at studying the narrative orientations in the novel *Sata'er Al-Etma* , a semiotic narrative study, in order to highlight the novelist's use of narrative orientations to express his experience . In addition, the study highlights the narrative orientations' role in attracting readers' attention and interest to get involved in into the narrative text.. The researcher used the descriptive analytic approach in his study to highlight the definition of narrative orientations and their types represented in the title, the cover page, dedication, and prologue. Results revealed how important the narrative orientations are in the process of creativity, receptivity and understanding of the narrative text and getting deeply into its details in order to know the imprisonment the novelist experienced

### Keywords:

Narrative orientations, *Sata'er Al-Etma*, Walid Al-Hudaly

تقوم هذه الدراسة على تساؤل رئيس، هو: كيف استثمر الروائي (وليد الهودلي) العتبات النصية في روايته: (ستائر العتمة)؟ وقد تفرع عن هذا السؤال ثلاثة أسئلة فرعية، هي:

اهتم العرب منذ القدم بالعتبات، من خلال حديثهم عن براعة الاستهلال، وقد سوغ ابن رشيق لهذا بقوله: "لأن حسن الافتتاح داعية الانسراح، ومطية النجاح..."، والشعر قفل أوله مفتاح، فينبغي للشاعر أن يوجد ابتداء شعره، لأنه أول ما يقرع السمع، وبه يستدل على ما عنده من أول وهلة...، ليحمله حلواً سهلاً، وفخماً جزلاً<sup>(1)</sup>، وتحدث الجاحظ عن الاستهلال بقوله: "إن لابتداء الكلام فتنة وعُجباً"<sup>(2)</sup>، وهذا يبرز قدم معرفة الفكر العربي لمفهوم عتبة الاستهلال، واهتمامه بفاعليتها في عمليتي: الإبداع، والتلقي.

وتضاعف الاهتمام بموضوع العتبات النصية بعد تنبه المناهج النقدية الحديثة إلى فاعليتها الدلالية والجمالية، والنظر إليها بوصفها جزءاً لا يتجزأ من القيمة الإبداعية المتكاملة للنص، فلم يعد المتن النصي هو الغاية الوحيدة التي يقصدها المتلقي، لأن ما حول المتن من عتبات نصية باتت تؤثر تأثيراً بالغاً في طبيعة التأويل، وتشكل "نظاماً إشارياً، ومعرفياً، لا يقل أهمية عن المتن"<sup>(3)</sup>. ويتوجب على المتلقي الاهتمام بقراءتها، مثلما يهتم بقراءة المتن، وعلى هذا النحو لا تكتمل القيمة الدلالية، والجمالية للنص، إلا بوجود العتبات.

إن صياغة العتبات النصية في رواية: (ستائر العتمة)، تقوم على براعة الكاتب، والفنان. وإن المتأمل لهذه العتبات يشعر أنها اختيرت بعناية فائقة، سواء من الناحية الفنية في اختيار الخطوط والألوان، وتوزيعها على سطح الصفحة، أو من الناحية البلاغية في اختيار الكلمات، وهذا يمثل طاقات إغرائية، منبثقة من بلاغة التوظيف السيميولوجي للألوان، والخطوط، والكلمات، واستثمارها في التعبير عن تجربة الكاتب وليد الهودلي الاعتقالية.

اهتم العرب منذ القدم بالعتبات، من خلال حديثهم عن براعة الاستهلال، وقد سوغ ابن رشيق لهذا بقوله: "لأن حسن الافتتاح داعية الانسراح، ومطية النجاح..."، والشعر قفل أوله مفتاح، فينبغي للشاعر أن يوجد ابتداء شعره، لأنه أول ما يقرع السمع، وبه يستدل على ما عنده من أول وهلة...، ليحمله حلواً سهلاً، وفخماً جزلاً<sup>(1)</sup>، وتحدث الجاحظ عن الاستهلال بقوله: "إن لابتداء الكلام فتنة وعُجباً"<sup>(2)</sup>، وهذا يبرز قدم معرفة الفكر العربي لمفهوم عتبة الاستهلال، واهتمامه بفاعليتها في عمليتي: الإبداع، والتلقي.

وتضاعف الاهتمام بموضوع العتبات النصية بعد تنبه المناهج النقدية الحديثة إلى فاعليتها الدلالية والجمالية، والنظر إليها بوصفها جزءاً لا يتجزأ من القيمة الإبداعية المتكاملة للنص، فلم يعد المتن النصي هو الغاية الوحيدة التي يقصدها المتلقي، لأن ما حول المتن من عتبات نصية باتت تؤثر تأثيراً بالغاً في طبيعة التأويل، وتشكل "نظاماً إشارياً، ومعرفياً، لا يقل أهمية عن المتن"<sup>(3)</sup>. ويتوجب على المتلقي الاهتمام بقراءتها، مثلما يهتم بقراءة المتن، وعلى هذا النحو لا تكتمل القيمة الدلالية، والجمالية للنص، إلا بوجود العتبات.

إن صياغة العتبات النصية في رواية: (ستائر العتمة)، تقوم على براعة الكاتب، والفنان. وإن المتأمل لهذه العتبات يشعر أنها اختيرت بعناية فائقة، سواء من الناحية الفنية في اختيار الخطوط والألوان، وتوزيعها على سطح الصفحة، أو من الناحية البلاغية في اختيار الكلمات، وهذا يمثل طاقات إغرائية، منبثقة من بلاغة التوظيف السيميولوجي للألوان، والخطوط، والكلمات، واستثمارها في التعبير عن تجربة الكاتب وليد الهودلي<sup>4</sup> الاعتقالية.

تساؤلات الدراسة.

(1) أبو علي الحسن بن رشيد القيرواني، العمد في محاسن الشعر وآدابه ونقده، 18/1.

(2) الجاحظ، الحيوان، ج1، ص88.

(3) محمد صابر عبيد، سحر النص، ص119.

(4) وليد إبراهيم الهودلي: أديب فلسطيني من مواليد رام الله، اعتقل في سجون الاحتلال الصهيوني 12 عاماً، له أعمال أدبية منشورة في مجال الرواية منها: ستائر العتمة، والشعاع القادم من الجنوب، وأمها في مدافن الأحياء، وليل غزة الفسفوري. وفي مجال القصة له: مدفن الأحياء، ومجد على بوابة الحرية، ومنارات، وحكاية العم عز الدين، وأبو هريرة في هدير. وفي مجال المسرح له: مسرحية النفق، وإبريق الذهب.

(5) أبو علي الحسن بن رشيد القيرواني، العمد في محاسن الشعر وآدابه ونقده، 18/1.

(6) الجاحظ، الحيوان، ج1، ص88.

(7) محمد صابر عبيد، سحر النص، ص119.

## تساؤلات الدراسة.

تقوم هذه الدراسة على تساؤل رئيس، هو: كيف استثمر الروائي (وليد الهودلي) العتبات النصية في روايته: (ستائر العتمة)؟ وقد تفرع عن هذا السؤال ثلاثة أسئلة فرعية، هي:

- 1- ما العتبات النصية التي استثمرها الكاتب في الرواية؟
- 2- ما القيم الدلالية والجمالية التي أضفتها العتبات النصية على الرواية؟

- 3- ما قدرة العتبات النصية في التعبير عن تجارب الكاتب؟

## أهداف الدراسة.

تهدف الدراسة إلى:

- تسليط الضوء على العتبات في رواية ستائر العتمة.
- معرفة أنواع العتبات التي استثمرها الكاتب.
- الوقوف على القيم الدلالية، والجمالية للعتبات.
- الكشف عن أهمية العتبات في عمليتي: الإبداع، والتلقي.

## أسباب اختيار الموضوع.

إن اهتمامي بدراسة موضوع العتبات النصية، جاء نتيجة لعدة أسباب، يأتي في مقدمتها: أن العتبات النصية لم تأخذ حقها من الدراسة. ووقع اختياري على رواية: (ستائر العتمة) أنموذجاً إجرائياً، لكون عتباتها النصية مكتملة للرواية، ومفتاحاً إجرائياً لفهم دلالاتها، إضافة إلى عدم وجود دراسات - في حدود علمي - تعنى بالعتبات النصية في رواية: (ستائر العتمة).

## منهج الدراسة.

اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، لدراسة عتبات النص في رواية ستائر العتمة، دراسة سيميولوجية سردية، تتبع عتباتها النصية بالرصد، والوصف، والتحليل.

## الدراسات السابقة.

لم يقع بين يدي الباحث دراسة سيميولوجية أخذت على عاتقها دراسة عتبات النص في رواية: (ستائر العتمة)، ولكن هناك دراسات نقدية تناولت العتبات النصية في روايات عربية نذكر منها:

دراسة عبد الفتاح الجمري (1996) موسومة بـ (عتبات النص، البنية والدلالة). ودراسة عبد الرزاق بلال (2000)، موسومة بـ (مدخل إلى عتبات النص، دراسة في مقدمات النقد العربي). ودراسة عبد المالك أشببهن (2005)، موسومة بـ (عتبات الكتابة في النقد

الأدبي الحديث). ودراسة عبد الحق بلعابد (2008)، موسومة بـ (عتبات جيران جينيت من النص إلى المناص). ودراسة يوسف الإدريسي (2008)، موسومة بـ (عتبات النص، بحث في التراث العربي والخطاب النقدي المعاصر). ودراسة عزوز علي اسماعيل (2012)، موسومة بـ (عتبات النص في الرواية العربية).

## أهمية الدراسة.

تكمن أهمية الدراسة في كونها تتناول ظاهرة سيميولوجية، لها حضورها الواسع، وأهميتها الفاعلة في تشكيل فضاء الإبداع الروائي الفلسطيني في المعتقلات الصهيونية، وتمثل مفتاحاً رئيساً من مفاتيح الولوج إلى المتن الروائي، والدخول إلى خباياه، وتبحث في تفاعلاتها الدلالية، ومرجعياتها المعرفية، وحقولها الثقافية.

## حدود الدراسة.

اقتصرت الدراسة على تتبع عتبات النص في رواية: (ستائر العتمة)، الصادرة في طبعها الثانية عام 2003، عن المؤسسة الفلسطينية للإرشاد القومي في رام الله، بفلسطين.

## خطوات الدراسة.

تقوم هذه الدراسة على مقدمة، وتمهيد، وأربعة محاور، تحدث الباحث في المقدمة عن أهمية الدراسة، وتساؤلاتها، والمنهج المتبع، وأسباب اختيار الموضوع، والدراسات السابقة، وحدود الدراسة، وخطواتها، واستعرض في التمهيد: مفهوم العتبات، وتناول في المحور الأول عتبة العنوان، وتعرض في المحور الثاني لعتبة الغلاف، أما المحور الثالث فقد بسط فيه الحديث عن عتبة الإهداء، وتناول في المحور الرابع عتبة التتويه، وأجمل في الخاتمة النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

## تمهيد: مفهوم العتبات وأهميتها.

وردت كلمة العتبة في لسان العرب بمعنى: "أسكفة الباب التي تُوطأ، وقيل: العتبة العليا، والخشبة التي فوق الأعلى: الحاجب، والأسكفة: السفلى، والعارضتان: العضادتان، والجمع: عتَبٌ وعتباتٌ، والعتب: الدرج، وعتَبَ عتبةً: اتخذها عتَبُ الدَّرج: مراقبها إذا كانت من خشب، وكل مرقاة منها عتبة... وعتب الجبال والحزون: مراقبها، وتقول: عتب لي عتبة في هذا الموضع إذا أردت أن ترقى به إلى موضع تصعد فيه، ... وعتب العود: ما عليه أطراف الأوتار من

مقدمة...، وقيل العتب: العيدان المعروضة على وجه العود، ومنها تمتد الأوتار إلى طرف العود<sup>(8)</sup>.  
أما المعنى الاصطلاحي للعتبات فهو: مجموع المداخل اللغوية وغير اللغوية التي تحيط بمتن الكتاب من جميع جوانبه: لوحة الغلاف، وعناوين رئيسية، وأخرى فرعية، وإهداء، وتتويه، ومقدمات، وهوامش، وخاتمة، وغيرها من الإشارات، والرسومات، وبيانات النشر المرفقة، التي تشكل نظاماً إشارياً ومعرفياً، لا يقل أهمية عن المتن، وعليه: فإن جميع العتبات بوابات للدخول إلى المتن، للتعرف على محتوياته، وهي ذات علاقة حوارية معه، فهو يحيل إليها، وتحيل إليه، بحكم أن العتبات مداخل للنصوص، وممرات تؤدي إلى كنهها، فهي أول ما يقع عليها بصر المتلقي، وتدركه بصيرته، لذلك تعد عتبات انتقالية، للانتقال نحو الأهم، ألا وهو المتن المركزي<sup>(9)</sup>.

وبذلك تكون العتبات عبارة عن بدايات، ومداخل، ومضات إبداعية، وإضاءات جمالية، تضئ الطريق أمام المتلقي، وتعينه على الدخول في النص، لفك شيفراته، وفهم حمولاته الدلالية، والكشف عن أبعاده الجمالية.

ورغم حداثة مصطلح العتبات، إلا أنه حظي باهتمام النقاد، وأفردوا له دراسات متعددة، تتحدث عن مفهومه، وأهميته في عمليتي الإبداع، والتلقي، وعن عناصره التي تؤدي وظائفها بأشكال متصلة ومنفصلة. ولا يمكن فهم النص بعيداً عن فهم العتبات، وعناصرها البنائية، فباتت "قراءة المتن مشروطة بقراءة هذه العناصر، فكما أننا لا نلج فناء الدار قبل المرور بعتباتها، كذلك لا يمكننا الدخول إلى عالم المتن قبل المرور بعتباته، لأنها تقوم - من بين ما تقوم به - بدور الوشاية والبوح، ومن شأن هذه الوظيفة أن تساعد في قراءة سليمة للكتاب، أو النص"<sup>(12)</sup>.

وتشكل العتبات النصية في رواية (ستائر العتمة) عناصر تحفيز للمتلقي، للولوج في المتن الروائي، لإدراك أبعاده الدلالية، وآفاقه الجمالية، وكلما كانت عناصر التحفيز قوية وجذابة، تيسرت عملية الولوج في عالم النص، أما إذا لم تشبع العتبات النصية رغبة المتلقي، فإنه يحصل لديه نفور، ولهذا أجاد الكاتب وليد الهودلي استثمار عتبات نصه الروائي فشكلت مفاتيح تأويلية أسهمت في ولوج المتلقي إلى فضاء المتن الروائي، والتفاعل مع عناصره البنائية.

وقد حفلت رواية: (ستائر العتمة) بالعديد من العتبات، المتمثلة في: العنوان، والغلاف، والإهداء، والتتويه، وهذه العتبات ندخلها، لنعرف على كنه رواية المعتقل، وأسرارها، وهي إضاءات إبداعية، تسعى إلى تعبيد الطريق أمام المتلقي، وتسهل عليه عملية استقبال النص، والولوج في خباياه، وفهم مكنوناته.

إن رواية: (ستائر العتمة) لها خصوصيتها في اختيار عتباتها على المستويين: البصري المتمثل في: لوحة الغلاف، والخطوط،

ومصطلح العتبات من المصطلحات الحديثة، التي حظيت باهتمام كبير لدى نقاد الغرب في نهاية القرن العشرين، خاصة عند جيرار جينيت في كتابيه: (عتبات)، و(أطراس)، الذي أظهر فيهما اهتمامه الواضح بالعتبات، التي تتمثل في: "العنوان، والعنوان الفرعي، والعناوين الداخلية، والمقدمات، والملحقات، والتنبيهات، والتمهيد، والهوامش في أسفل الصفحة، أو في النهاية، والمقتبسات، والتزيينات، والرسوم، وعبارات الإهداء، والتتويه، والشكر، وأنواع أخرى من

ونظراً لتباين الترجمات لمصطلح العتبات التي تحيط بالنص، فإن الباحث أثر استخدام مصطلح: (العتبات) على العديد من الترجمات -النص الموازي، والنص المصاحب، والنص المحيط، والمناص، والمناصصة، والمتعاليات النصية- لكونه أكثر دقة في التعبير عن فكرة التفاعل، والاتصال، والترابط، من مصطلح: النص الموازي paratexte، الذي شاع استخدامه كثيراً في الخطاب النقدي المعاصر. والموازاة لا تحمل فكرة التفاعل، والاتصال، والترابط، التي يحملها مصطلح العتبات<sup>(10)</sup>.

ومصطلح العتبات من المصطلحات الحديثة، التي حظيت باهتمام كبير لدى نقاد الغرب في نهاية القرن العشرين، خاصة عند جيرار جينيت في كتابيه: (عتبات)، و(أطراس)، الذي أظهر فيهما اهتمامه الواضح بالعتبات، التي تتمثل في: "العنوان، والعنوان الفرعي، والعناوين الداخلية، والمقدمات، والملحقات، والتنبيهات، والتمهيد، والهوامش في أسفل الصفحة، أو في النهاية، والمقتبسات، والتزيينات، والرسوم، وعبارات الإهداء، والتتويه، والشكر، وأنواع أخرى من

مقدمة...، وقيل العتب: العيدان المعروضة على وجه العود، ومنها تمتد الأوتار إلى طرف العود<sup>(8)</sup>.  
أما المعنى الاصطلاحي للعتبات فهو: مجموع المداخل اللغوية وغير اللغوية التي تحيط بمتن الكتاب من جميع جوانبه: لوحة الغلاف، وعناوين رئيسية، وأخرى فرعية، وإهداء، وتتويه، ومقدمات، وهوامش، وخاتمة، وغيرها من الإشارات، والرسومات، وبيانات النشر المرفقة، التي تشكل نظاماً إشارياً ومعرفياً، لا يقل أهمية عن المتن، وعليه: فإن جميع العتبات بوابات للدخول إلى المتن، للتعرف على محتوياته، وهي ذات علاقة حوارية معه، فهو يحيل إليها، وتحيل إليه، بحكم أن العتبات مداخل للنصوص، وممرات تؤدي إلى كنهها، فهي أول ما يقع عليها بصر المتلقي، وتدركه بصيرته، لذلك تعد عتبات انتقالية، للانتقال نحو الأهم، ألا وهو المتن المركزي<sup>(9)</sup>.

ورغم حداثة مصطلح العتبات، إلا أنه حظي باهتمام النقاد، وأفردوا له دراسات متعددة، تتحدث عن مفهومه، وأهميته في عمليتي الإبداع، والتلقي، وعن عناصره التي تؤدي وظائفها بأشكال متصلة ومنفصلة. ولا يمكن فهم النص بعيداً عن فهم العتبات، وعناصرها البنائية، فباتت "قراءة المتن مشروطة بقراءة هذه العناصر، فكما أننا لا نلج فناء الدار قبل المرور بعتباتها، كذلك لا يمكننا الدخول إلى عالم المتن قبل المرور بعتباته، لأنها تقوم - من بين ما تقوم به - بدور الوشاية والبوح، ومن شأن هذه الوظيفة أن تساعد في قراءة سليمة للكتاب، أو النص"<sup>(12)</sup>.

وتشكل العتبات النصية في رواية (ستائر العتمة) عناصر تحفيز للمتلقي، للولوج في المتن الروائي، لإدراك أبعاده الدلالية، وآفاقه الجمالية، وكلما كانت عناصر التحفيز قوية وجذابة، تيسرت عملية الولوج في عالم النص، أما إذا لم تشبع العتبات النصية رغبة المتلقي، فإنه يحصل لديه نفور، ولهذا أجاد الكاتب وليد الهودلي استثمار عتبات نصه الروائي فشكلت مفاتيح تأويلية أسهمت في ولوج المتلقي إلى فضاء المتن الروائي، والتفاعل مع عناصره البنائية.

وقد حفلت رواية: (ستائر العتمة) بالعديد من العتبات، المتمثلة في: العنوان، والغلاف، والإهداء، والتتويه، وهذه العتبات ندخلها، لنعرف على كنه رواية المعتقل، وأسرارها، وهي إضاءات إبداعية، تسعى إلى تعبيد الطريق أمام المتلقي، وتسهل عليه عملية استقبال النص، والولوج في خباياه، وفهم مكنوناته.

إن رواية: (ستائر العتمة) لها خصوصيتها في اختيار عتباتها على المستويين: البصري المتمثل في: لوحة الغلاف، والخطوط،

(11) المختار حسني، من التناص إلى الأطراس، ص 178.

(12) عبد الرازق بلال، مدخل إلى عتبات النص، ص 23.

(8) ابن منظور، لسان العرب، مادة (عتب)، ج 4، ص 674.

(9) ينظر: عزوز علي اسماعيل، عتبات النص في الرواية العربية، ص 51. كذلك، عبد المالك أشبهيون، عتبات الكتابة في النص الحديث، ص 285. وكذلك عبد الرزاق بلال، مدخل إلى عتبات النص، ص 16.

(10) ينظر: عزوز علي اسماعيل، عتبات النص في الرواية العربية، ص 37. كذلك، حميد الحمداني، عتبات النص الأدبي، ص 23.

الذي يلائمه، ويمتلك القدرة على اختزال النص، وهذا يعني أن للنص دوراً فاعلاً في توجيه صياغة العنوان<sup>(14)</sup>.

وهذا يوحي بشدة اهتمام الكاتب وليد الهودلي في اختيار عنوان عمله الروائي، ويكشف عن إدراكه لأهمية عتبة العنوان، فهي أول ما يقرأ، لذلك ينبغي أن تشكل مفتاحاً إجرائياً، يتسلح به المتلقي، للولوج في المتن الروائي، بقصد الوصول إلى كنهه، واستتطاق طاقاته الدلالية، والجمالية، وآخر ما يكتب، لذلك ينبغي أن يحتوي العنوان على بؤرة التكتيف المعرفي، والتركيز الإيحائي، ويتسم بالتوالد الدلالي، والتنامي الجمالي، ويعيد إنتاج نفسه داخل المتن، ويوجه المتلقي، ويمده بطاقات ثقافية، وإمكانات معرفية، لتفكيك النص، وضبط انسجامه<sup>(15)</sup>.

ستائر العتمة: هو عنوان لرواية كتبها وليد الهودلي، محاولاً من خلالها تدوين محطة من محطات حياته، عن طريق تسجيل وقائع تسعين يوماً من المواجهة الملتهبة، في سجون الاحتلال الصهيوني. وإذا ما تأملنا هذا العنوان، فإننا نجد من العناوين التي تتطوي على معطى شاعري، يكسبها دفقاً من الشحنات الإبداعية، التي تجعل منها قوة إغرائية، لجذب اهتمام المتلقي، للتجاوب مع الطاقات الشاعرية للعنوان، والتفاعل بأحاسيسه ومشاعره، مع إشعاعاته الدلالية والجمالية، وبذلك اكتسب العنوان دلالات عميقة، أبعدته عن المباشرة، والتقريرية، ومنحتة قدرة على التوالد الدلالي، الذي يحقق الفاعلية التأثيرية في المتلقي.

إن عنوان رواية: (ستائر العتمة) هو أول ما يواجه المتلقي على غلاف الرواية، فيعطي انطباعاً أولياً عن موضوع الرواية قبل الولوج في قراءتها، وتتسع هذه الانطباعات مع القراءة، بحكم أن عتبة العنوان الرئيس لها علاقات بالعتبات الفرعية، كونه مفتاحاً سيميائياً رئيساً للرواية، ولا يمكن إدراك البنية العميقة لعتبة العنوان في رواية (ستائر العتمة)، إلا من خلال معرفة العلاقات الرابطة بينه وبين العناوين الفرعية، والمقاطع السردية للنص الروائي، وبذلك يشكل العنوان بؤرة ارتكاز الرواية، لأنه عتبة الدخول إلى العناوين الفرعية،

والألوان، واللغوي المتمثل في: العنوان، والتنويه، والإهداء، والشكر، والعناوين الداخلية. وانسجام هذين المستويين مع مضمون المتن الروائي يظهر براعة الكاتب في اختيار العتبات، وحسن توظيفه لها في أبنيته السردية.

والمتمثل في رواية: (ستائر العتمة)، يلمس الحضور الفاعل للعتبات النصية، ويدرك أهميتها في تشكيل الفضاء الدلالي والجمالي للرواية، وأثرها على المتلقي. وتسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن الفضاء الإيحائي للعتبات في رواية: (ستائر العتمة)، من خلال دراسة مفهوم العتبات، وتجلياتها المتمثلة في: عتبة العنوان، ولوحة الغلاف، والإهداء، والتنويه.

### المحور الأول: عتبة العنوان.

عتبة العنوان هي أول ما تواجه المتلقي من العتبات، لذلك ينبغي أن يتم اختيارها بعناية كبيرة من قبل المبدع، وأن تكون لدى المتلقي ثقافة خاصة بكيفية دراسة هذه العتبة، التي تضفي أمامه الطريق، للدخول في عالم النص، وفهم خباياه، وإدراك مكنوناته.

ويبرز (جان كوهين) أهمية عتبة العنوان، من خلال حديثه عن دلالة الوصل، حيث عدّ الوصل مظهراً من مظاهر الإسناد، فقال: "إن طرفي الوصل ينبغي أن يجمعهما مجال خطابي واحد، يجب أن يكون هناك فكرة، هي التي تشكل موضوعهما المشترك، وغالباً ما قام عنوان الخطاب بهذه الوظيفة، إنه يمثل المسند إليه، أو الموضوع العام، وتكون كل الأفكار الواردة في الخطاب مسندات إليه، إنه الكل الذي تُكوّن هذه الأفكار أجزاءه، ولنلاحظ مباشرة أن كل خطاب نثري، علمياً كان أم أدبياً، يتوفر دائماً على عنوان"<sup>(13)</sup>.

وقد تباينت الآراء حول زمن إنشاء العنوان، هل هو قبل كتابة النص، أم بعد كتابته. فإشياء العنوان قبل النص، يجعل الكاتب مجبراً على كتابة نص يلائم العنوان، وبالتالي يصبح العنوان أصلاً، والنص فرعاً، وإنشاء العنوان قبل النص فيه تحفيز للكاتب على الكتابة، فيكون العنوان بمثابة الراية التي توجه الكاتب، ولكن إنشاء العنوان بعد كتابة النص، والانتهاه منه، يجعل العنوان فرعاً، والنص أصلاً، والكاتب ينبغي أن يعتمد إلى إنشاء النص، ثم يبحث عن العنوان

(14) ينظر: محمد فكري الجزار، العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي، ص16.

كذلك، صدوق نور الدين، البداية في النص الروائي، ص70.

(15) ينظر: ياسين النصير، الاستهلال فن البدايات في النص الأدبي ص33.

كذلك، محمد مفتاح، دينامية النص، ص72.

(13) جان كوهين، بنية اللغة الشعرية، ص116.

الذي يبعث في أنفس المعتقلين الأمل بالخلاص من عتمة السجن، وقد جاءت الستائر بصيغة الجمع، للإيحاء بكثرتها، وتنوعها.

وبما أن العتمة تحمل معنى المعاناة، فإن العنوان يشير إلى آلام عامر، و أفراد مجموعته المعتقلين في سجون الاحتلال الصهيوني، وجاءت الستائر، لتوحي بالأمل الذي ينتظر المعتقلين، وبذلك كان للعنوان أثره على عملية التلقي، كونه حمل إشارات ارتبطت بالعتبات الفرعية للرواية المتمثلة في: (تقلبات زنزانه، مقالب التحقيق، الزنزانه مرة أخرى، صفقة مغرية، في رحي السجن)، والتي في حقيقتها جاءت مكمل للعتبات الرئيسية، من أجل ذلك بات إدراك العلاقات، والروابط بين العتبات الفرعية، والرئيسية، أمراً مهماً لفهم المتن الروائي، الذي هو صورة موسعة للعنوان.

أما القيمة الدلالية للألوان: فتتجلى في اللون الأسود، الذي كتب به اسم الرواية، حيث يوحي بالعتمة، ويعطي إشارات إلى معاناة البطل عامر وأفراد مجموعته في أقبية التحقيق الصهيونية، التي نستشعرها أثناء قراءتنا للرواية، ونتعرف على أساليب التعذيب الجسدي، والنفسي، التي يتعرض لها السجين، والمكان الذي يعتقل فيه. وكتب اسم المؤلف باللون الأحمر، الذي يدل على لون الدم، ويوحي بحجم تضحيات المعتقلين الفلسطينيين في سجون الاحتلال الصهيوني.

**المحور الثاني: عتبة الغلاف.**

الغلاف أيقونة إعلامية، وكوّة نصية، تسلط الضوء على ما يموج بداخل المتن الروائي، فهو أول ما تقع عليه العين، وآخر ما يبقى في الذاكرة، بعد الانتهاء من قراءة العمل الأدبي، لذلك يتحرى المبدع الدقة في اختيار الغلاف، جاعلاً منه عتبة الدخول إلى النص، لأن الغلاف تربطه علاقة مجازية بمضمون العمل الأدبي، والمتلقي إذا تمكن من فهم مكونات الغلاف، وفك شفراته، استطاع الدخول إلى فضاء المتن الروائي<sup>(17)</sup>.

وتمثل عتبة غلاف رواية: (ستائر العتمة) مثيراً سيميائياً، يحفز المتلقي على استحضار آلام آمال البطل عامر و أفراد مجموعته المعتقلين في سجون الاحتلال الصهيوني، وهذا يبرز أهمية لوحة الغلاف، حيث تتقدم فيها فاعلية الصورة البصرية على فاعلية اللغة، والصورة والكلمة تتناوبان الأهمية، والحضور الحواسي، بحسب طبيعة كل حاسة، وعلاقتها بنوع التلقي، ودرجته، إذ إن سيكولوجية

والمقاطع السردية، سواء على مستوى الشكل، أو التقبل. وما دام العنوان عتبة من عتبات النص، فهو يمتلك البنية، والدلالة التي لا يمكن أن تتفصل عن عتبات النص، وحوارياته، مع الخصوصية النصية للعمل الروائي<sup>(16)</sup>.

أول ما يلفت النظر في رواية: (ستائر العتمة) العنوان الذي يفصح عن ثنائية الدلالة: (الأمل والألم)، ويرسل ومضاته التي تقود المتلقي نحو دلالة استباقية، توحي بمسار الرواية صوب ثنائية ضدية، تهيمن على النص الروائي، وتسهم في توجيه حركة العتبات النصية، والمقاطع السردية.

وإن جملة العنوان: (ستائر العتمة) جاءت استجابة لقوة إبداعية، أملت على الكاتب اختيار هذا العنوان، وبدوافع بنائية تتصل ببنية العمل الروائي، وتستدعي دلالات زمانية تتعلق بزمان التحقيق وانعكاساته على وجدان البطل عامر وأفراد مجموعته، وكذلك تستدعي دلالات مكانية تتعلق بأمكان الاعتقال، وأساليب التحقيق، وصمود عامر وأفراد مجموعته أمامها، وفهمهم لخدع التحقيق، ومكر المحقق الصهيوني، وتحديدهم لأساليبه، وقد كان لهذه الصور البطولية أهمية كبيرة على فكر الكاتب، ووجدانه، وتشير إلى نسق فكري، ووجداني، يربط عتبة العنوان بالمتن الروائي.

وبالنظر في عنوان الرواية، نجده موجزاً في كلمتين، هما: (ستائر العتمة)، ذات الكثافة الدلالية، والجمالية التي تتلاءم مع مضمون الرواية، والقضية التي تعالجها، وهي معاناة بطل الرواية عامر و أفراد مجموعته المعتقلين في سجون الاحتلال الصهيوني، وكأني بالكاتب اختار عتبة العنوان بكل وعي بالفكرة، وعناية بالموضوع، ليحقق فاعلية التتوير والتثوير، التي أوجدت فاعلية التشويق، للدخول في ثنايا المقاطع السردية.

وعنوان رواية: (ستائر العتمة) مكون من كلمتين، وقد جعل الكاتب الستائر مضافاً، والعتمة مضافاً إليه، وهو ما يكسب المضاف (الستائر) القيمة الدلالية والجمالية للإيحاء بآمال عامر، و أفراد مجموعته البطولية المعتقلين في سجون الاحتلال الصهيوني، ذلك لأن الستائر تتميز بشفافيتها، وعدم حجبها للأشياء، وتمنح بصيص النور

<sup>(16)</sup> ينظر: عبد الفتاح الحجمري، عتبات النص، ص148.

<sup>(17)</sup> ينظر: المرجع السابق، ص 224-225.



مجتمعة أيقونة عتبة الغلاف. و"الأيقونة علامة تحيل إلى الشيء الذي تشير إليه، بفضل صفات تمتلكها، خاصة بها وحدها، فقد يكون أي شيء أيقونة لأي شيء آخر، سواء أكان هذا الشيء صفة، أم كائناً فرداً، أو قانوناً، بمجرد أن تشبه الأيقونة هذا الشيء تستخدم علامة له"<sup>(19)</sup>، وهذا يشكل عنصر تحفيز للمتلقي، للإقبال على قراءة الرواية، وتصور شخصها، وأحداثها، وزمانها، ومكانها، للتفاعل مع قضايا المعتقلين في سجون الاحتلال.

وتتضمن عتبة الغلاف في رواية: (ستائر العتمة) بين جنباتها العديد من العتبات المصاحبة، التي تشير إلى ما ستكون عليه الرواية، فاسم الرواية جاء باللون الأسود، ليوحى بالحزن، والألم، والمرارة التي تنتاب أفراد المجموعة البطولية خلف قضبان الاحتلال. واسم الكاتب جاء باللون الأحمر، ليوحى بتضحيات أبطال الرواية، وهما مكتوبان على مساحة أرضيتها بيضاء، لتناغم اللون الأبيض مع الأسود، ضمن ثنائية ضدية، وكذلك من خلال تناغم اللون الأحمر مع الأبيض، لإبراز التضحيات، وهما- الأبيض والأحمر- أكثر الألوان حضوراً في عتبة الغلاف، وكأنه فيه إحياء إلى انحسار اللون الأسود في المتن الروائي، وشيوع الألوان ذات الإحياء التفاولي، إيماناً من الكاتب و الفنان بأن الألوان لها فاعليتها الدلالية، على عناصر البناء الروائي.

ويتجلى في عتبة الغلاف وجود سيميولوجي للألوان المتعددة، التي لها ارتباط بأحداث الرواية، وشخصها، وأزمنتها، وأمكنها، وفيها إشارة إلى هدف الكاتب من رواية تسعين يوماً من المعاناة، في أقبية التحقيق الصهيونية. فاللون الأسود يبرز حجم معاناة أفراد المجموعة البطولية في المعتقلات، واللون الأحمر يوحي بعظم تضحياتهم، وسيميولوجيا الألوان "تعطينا إحساسات غامضة، وعلى ذلك، فلا يمكننا استخدامها منطقياً، بل ننظر إلى توظيفها رمزياً"<sup>(20)</sup>، لأن التحليل السيميولوجي للدوال اللونية يخضع للإحساس، والشعور، والحالات النفسية، ولا يمكن إخضاعه للمنطق والعقل.

أما عتبة الغلاف الخلفي للرواية: فقد عكست وظيفة عتبة الغلاف الأمامي، وهي عبارة عن صورة لنصف وجه المعتقل، التي تجلت على صفحة الغلاف الأمامية، إضافة إلى تعريف باهتمامات دار النشر، وهي (المؤسسة الفلسطينية للإرشاد القومي)، ودورها في سد

التلقي في الخطاب السينمائي تقوم أساساً على المشاهدة، بمعنى: أن المتلقي يستفز بالدرجة الأولى قواه البصرية...، لذلك فإن الصورة في علاقتها بالبصر تتقدم على اللغة في علاقتها بالذهن، وهي هنا أكثر إتقاناً، وإحكاماً في تقديم الفكرة<sup>(18)</sup>، وهذا يؤكد الحالة الإغرائية التي يقع فيها القارئ، عند رؤيته للوحة غلاف رواية (ستائر العتمة) بكل مكوناتها السيميولوجية، مما يدفعه إلى قراءة الرواية والتفاعل مع موضوعها.

وقد تضمنت صورة غلاف رواية: (ستائر العتمة) عناصر سيميولوجية متعددة، تبدأ من أعلى الغلاف، فنجد اسم سلسلة الكتاب كتبت باللون الأحمر (سلسلة المعتقلات والسجون)، وأسفل اسم السلسلة توجد صورة لوجه أسير في مستقبل العمر، اقتحم وجهه قضبان السجن، وفي وسط الصفحة كتب اسم الرواية بشكل رأسي، وتحت العنوان كتب اسم الكاتب بشكل أفقي. وتباينت ألوان عتبة الغلاف: ما بين الأبيض الذي غلب على الغلاف، يليه اللون الأحمر، ثم الأسود، وهنا تكون عتبة الغلاف قد أفصحت عن مكونات العتبات الداخلية للنص الروائي، وأوحت بصمود البطل عامر وأفراد مجموعته أمام تقلبات الزنازين، ومقالب التحقيق، وصفقات الإغراء، والتنقلات بين مكاتب التحقيق والزنازين.

أما صورة المعتقل والقضبان: فإنها تشير المتلقي للتفاعل مع قضايا المعتقلين الفلسطينيين، وبالتالي فإن عتبة الغلاف تمهد لمعرفة مقصدية الرواية، خاصة وأن الغلاف قد احتوى على صورة المعتقل، والقضبان، وهذا يشير إلى معاناة البطل عامر وأفراد مجموعته المعتقلين في سجون الاحتلال الصهيوني، ومن هنا تتجلى أهمية عتبة الغلاف في التمهيد لمقصديّة العمل الروائي حيث تشكل مفتاحاً إجرائياً، للولوج في أعماق النص والكشف عن آفاقه الدلالية، وطاقاته الجمالية، لأن عتبة الغلاف هي أول ما تقع عليه عينا المتلقي، فتحرك فكره، وتثير أحاسيسه، وتشكل مدخلاً إغرائياً، وباعثاً وجدانياً، للإقبال على قراءة الرواية، و التفاعل مع أفراد المجموعة التي نفذت العملية البطولية، وتم اعتقالها في سجون الاحتلال.

وقد حملت أيقونة غلاف رواية: (ستائر العتمة) في طياتها أيقونات متباعدة، تمثلت في: صورة السجين، وقضبان المعتقل، وشعار دار النشر، الذي حمل ألوان العلم الفلسطيني. وهذه الأيقونات شكلت

(19) سيزا قاسم، أنظمة العلامات، ص 31.

(20) محمد دياب،جماليات الألوان، ص 41.

(18) محمد صابر عبيد، سحر النص، ص 12.

### المحور الثالث: عتبة الإهداء.

تشير عتبة الإهداء إلى تقدير المُهدي إلى المُهدى إليه، وقد ورد ذلك في قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "تهادوا تحابوا"<sup>(22)</sup>، وورد في المعاجم اللغوية: الإهداء مأخوذ من (الهدية)، ويقال: أهدى فلان أي قدم إليه هدية، وأتحفه بها، تعبيراً عن إكرام، وتقدير، أو تشجيع، ويتصل مفهوم الإهداء بهداية الطريق، أي تعريف الضال طريقه الصحيح<sup>(23)</sup>، وهذا يبرز الوظيفة الاجتماعية للإهداء حيث يحقق تواصلًا بين الأفراد والجماعات، وتواصلًا بين النص ومتلقيه، وبين المبدع والمتلقي، وبذلك حمل لفظ الإهداء معنى المحبة، والاحترام، والتقدير من قبل المؤلف إلى المهدى إليه، وأوحى بعمق الارتباط، وقوة التفاعل بينهما.

وعتبة الإهداء لا تقل أهميتها عن بقية العتبات النصية، فهي تشكل عنصراً مساعداً، لدخول المتلقي في فضاء النص، للتعرف على شخوص الرواية، ووقائعها، وأحداثها، زمانها، ومكانها، فوجود الإهداء يوحي بأهمية المهدى إليه، وعلاقته بالمبدع، والنص، ويكشف عن عمق دلالاته النصية، وتنوع سياقاته الفنية، التي تختلف من مبدع إلى آخر، وذلك حسب اختلاف العلاقة، والمكانة، والأهمية بين المُهدي والمُهدى إليه.

ويمثل الإهداء في رواية (ستائر العتمة) عتبة من العتبات النصية التي تساعد على فهم المقاطع السردية، إلا أنه لا يدخل ضمن الضرورات الإبداعية، على النحو الذي تمثله عتبتا العنوان، والغلاف. وتبرز عتبة الإهداء في هذه الرواية أهمية المُهدى إليهم العمل الروائي، وعمق علاقتهم، وعظم مكانتهم عند الكاتب، فما يجمع بين المُهدى إليهم والكاتب هو معاناة الاعتقال، ومقاومة الاحتلال، ورغبتهم في العيش بحرية وكرامة.

فالإهداء فيه عرفان بالجميل بما قدم للكاتب من قبل المُهدى إليهم، وقد جاء مطبوعاً في الصفحة الخامسة من الرواية، ومقصوراً على أفراد بعينهم، وجماعات في أماكن معينة، حيث كان الإهداء والشكر على النحو التالي: "للأخوين الأستاذين الفاضلين: نضال زلوم، وإبراهيم نواهضة، على ما أسهما به من جهود مشكورة في النقد والتقويم...

(22) أبو عبد الله بن إسماعيل بن المغيرة، الأدب المفرد، ص208.

(23) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (هدي)، ج6، ص787. كذلك، إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، مادة (هدي) ص978..

ثغرات كبيرة في الثقافة الفلسطينية، من خلال تخصيص سلسلة مطبوعات لثقافة المعتقلات والسجون.

وقد عايشَت الفنانة التي أبدعت لوحة غلاف رواية: (ستائر العتمة) أحداث الرواية، وتفهمت معانيها، وأهدافها، وعاشت تجربة موازية لتجربة الكاتب، وهذا مكنها من التعبير عن فكرة الرواية بالألوان، والخطوط، والرسوم، التي هي أكثر تعبيراً، وأقوى تأثيراً من الكلام المكتوب.

وبذلك أبدعت لوحة الغلاف إشارات إعلامية، وفكرية، وثقافية. تمثلت الإشارة الإعلامية في إظهار معاناة المعتقلين الفلسطينيين في سجون الاحتلال، وتتجلى الوظيفة الفكرية في إبراز إصرار البطل عامر وأفراد مجموعته على الحرية، بينما تتجلى الوظيفة الثقافية في مقدرة اللوحة الفنية على التأثير في المتلقي، من خلال نجاحها في إبراز قضايا المعتقلين، ونشر ثقافة المقاومة.

وقد حققت مكونات عتبة غلاف رواية: (ستائر العتمة) فاعلية تواصلية قوية، من خلال رسمها للملامح الخارجية والداخلية لشخصية عامر وأفراد مجموعته البطولية المعتقلين في أقبية التحقيق الصهيونية، مما أوقظ مشاعر التضامن مع قضاياهم النبيلة، وإذا كانت المؤلفات الحديثة قد لجأت - على نحو ملحوظ - إلى استعمال الأيقونة في الصفحات الأولى للأغلفة، فليس ذلك بدافع الزخرفة، أو ملء فراغ فيها، بل لكونها تتطوي - كما هو الشأن بالنسبة إلى اسم المؤلف والعنوان - على خطاب حول النص، وحول العالم أيضاً<sup>(21)</sup>، وهذا دليل على وعي المبدع، والناشر، بما تحققة صفحة الغلاف من رواج لموضوع للرواية.

إن عملية إدراك القيمة الدلالية، والأبعاد الجمالية، للوحة الفنية لغلاف رواية (ستائر العتمة)، يحتاج إلى قدر من التركيز، والتأمل، والتخيل، للوصول إلى رؤية الكاتب، خاصة إذا ما كانت اللوحة الفنية للغلاف تعبر عن قضايا وطنية، مثل هذه الرواية التي تعبر عن قضايا الأسرى الفلسطينيين في سجون الاحتلال. وقد أجادت الفنانة قراءة العمل الروائي، وإدراك ما فيه من رؤى، وصاغتها صياغة فنية عبر ألوانها، وخطوطها، وبالتالي تجلت فكرة رواية (ستائر العتمة) فنياً عبر عتبة الغلاف.

(21) يوسف الإدريسي، عتبات النص، ص53.



ويحمل إهداء رواية (ستائر العتمة) في طياته عبق الوفاء لمن عاش الكاتب معهم معاناة الاعتقال في سجن (عسقلان، وهدير) ويحاول من خلاله استمالة المتلقي، ومشاركته لهذا الإهداء فكرياً، ووجدانياً، فحين يسمع المتلقي لفظة السجن، أو يقرأ الإهداء، فإنه يثير لديه إحساساً بمعاناة المعتقلين الفلسطينيين في سجون الاحتلال الصهيوني، وبالتالي سيدفعه هذا الإحساس إلى المشاركة في الفضاء الدلالي للإهداء، الذي ينم عن عقلية الكاتب المدركة لقضايا الأسرى.

إن: الإهداء في رواية (ستائر العتمة) عتبة نصية، تحوي قصيدة موجهة لمن أغان في إخراج هذه الرواية التسجيلية الواقعية إلى العالم، ولرفاق معتقلي (عسقلان، وهدير) الذين شاركوا الكاتب معاناة الاعتقال، وعذابات التحقيق، و الأمر الذي يكشف عن عمق العلاقات القائمة بين المعتقلين، وصور التعاون بينهم. ومقصدية الإهداء تعمل على جذب اهتمام المتلقي، وإثارته، ليتعاش مع فكرة رواية المعتقل، ويتفاعل مع شخصها، وأحداثها، وهنا يفتح الإهداء ليمتد فكرياً، ووجدانياً عبر النصوص السردية الموازية، و يتفاعل مع الطاقات الدلالية للمُهدى إليهم في سجن (عسقلان، وهدير).

#### المحور الرابع: عتبة التنويه.

عمد الكاتب إلى التنويه، قبل البدء في السرد الروائي، بقوله: "كتبت هذه الرواية في وقت، غير فيه الكيان الصهيوني أساليبه في التحقيق، من العنف الجسدي، والنفسي، إلى العنف النفسي فقط، إلا في حالات خاصة، تستدعي استصدار إذن خاص بها، لممارسة التعذيب الجسدي معها. ومن المؤكد أن هذا القرار قد درس جيداً، وروعت فيه مصلحتهم من عدة نواح...، وبالتالي فهو قابل للتغيير، أو العودة للأسلوب القديم، إذا دعتهم مصلحتهم لذلك" (25).

وعتبة التنويه في رواية (ستائر العتمة) ذات بعد إشاري إلى أمر مهم، قد أوضحه الكاتب، وبنى عليه عمله الروائي، وهو: تغيير أساليب التحقيق داخل سجون الاحتلال، من العنف الجسدي، والنفسي، إلى العنف النفسي، وحاول الكاتب تشويقنا لمعرفة التغيير الحاصل في أساليب التحقيق، من خلال إشارة الإهداء، لجذب اهتمام المتلقي،

ولكل الإخوة الأفاضل في سجن عسقلان وهدير، بما لهم من فضل في إخراج هذه القصة الواقعية، من قلب المحنة، وصميم الواقع الأليم...<sup>(24)</sup>

والإهداء هنا وُجّه إلى جماعة، وكان من شقين، الأول: خاص بمن قاما بنقد العمل الروائي، وتقويمه، والثاني: خاص بالمعتقلين في سجن (عسقلان، وهدير)، وذلك تقديراً لفضلهم على إخراج رواية (ستائر العتمة) من قلب المحنة، وصميم الألم، إلى العالم، ليعرف العالم واقع المعتقلين في سجون الاحتلال الصهيوني.

ويُقسم الكاتب وليد الهودلي هذا الإهداء إلى إهداءين، الأول: للأخوين نضال زلوم، وإبراهيم نواضة، على ما قدماء من نقد، وتقويم للرواية. والثاني: لرفاق الدرب في سجن (عسقلان، وهدير)، لما قاموا به من فضل في إخراج هذه الرواية الواقعية إلى العالم، وهو من الإهداءات المشتركة، التي تعبر تعبيراً صادقاً عن تقدير كاتب الرواية لهم، واعترافه بجميلهم، وبذلك حقق الإهداء وظيفته الدلالية والجمالية التي تعبر عن عمق العلاقة بين الكاتب ورفاق دربه في المعتقل.

ويمتد الجزء الثاني من الإهداء عبر تموجات الرواية، لتأكيد الفكرة التي تلح على الكاتب منذ البدء، وهي الكشف عن طبيعة المواجهة الملتهبة بين السجين الفلسطيني والسجان الصهيوني، والتأكيد على الترابط الفكري، والوجداني، والوطني بين المعتقلين الفلسطينيين، الذين يعيشون ظروفاً قاسية، وأوضاعاً غير إنسانية في سجون الاحتلال الصهيوني، ويؤكد ذلك الترابط بين الإهداء، والمقاطع السردية، وامتداد لفظة السجن، وأسماء السجون الواردة في الإهداء، إلى العناوين الفرعية، والمقاطع السردية في الرواية.

إن قصيدة الإهداء مرتبطة بثقافة الكاتب، وقناعاته بمقاومة الشعب الفلسطيني للاحتلال، وممتدة إلى المقاطع السردية في الرواية، التي قامت في الأصل على فكرة المقاومة، وارتبطت بأحداث عاشها الكاتب، وشخصه روايته خلف قضبان الاحتلال، ومن تلك الأحداث أساليب التحقيق، والتعذيب الجسدي، والنفسي. وهنا تتجلى مقصدية الكاتب من الإهداء، وهي: التأثير في المتلقي، وكسب تعاطفه مع قضايا الأسرى.

(25) المصدر السابق، ص 4.

(24) وليد الهودلي، ستائر العتمة، ص 5.

- ويحفزه على قراءة العمل الروائي، ليتعرف على أساليب التحقيق في المعتقلات الصهيونية.
- وتكمن أهمية التنويه في كونه يمثل عنصراً مهماً من عناصر عتبات النص، في رواية: (سائر العتمة)، حيث ضمن الكاتب عتبة التنويه معنى مكثفاً، يثبت فيه سياسة التعذيب الممنهجة في سجون الاحتلال، وامتداداتها في فضاء الرواية، ويوحى بطاقات دلالية، تجذب انتباه المتلقي إلى النسق الفكري، والوجداني الذي يربط عتبة التنويه بالمتن الروائي.
- وتكتسب عتبة التنويه في رواية: (سائر العتمة) قيمتها الدلالية، من خلال ارتباطها بالمقاطع السردية، التي تكشف عن أمر تغير استخدامه في التحقيق، ونوه الكاتب إلى إمكانية العودة إلى أساليب التحقيق القديمة، إذا دعت مصلحة التحقيق إلى ذلك، وبالتالي أوحى التنويه إلى شيء معين، ومهم، تم الإشارة إليه في عتبة الغلاف.
- لقد كان للتنويه في رواية (سائر العتمة) أثره الواضح في عملية التلقي، حيث جعل المتلقي يتقرب طبيعة التغيير الحاصل في أساليب التحقيق، إلى أن وصل إلى نهاية الرواية، ليتأكد من عدم جدوى التغيير في أساليب التحقيق على ثبات البطل عامر، وصموده، أمام آلة التحقيق الصهيونية، حيث نرى محاولة توعية البطل عامر لأفراد مجموعته، من خلال كشف خداع هذا التغيير الطارئ في التحقيق.
- وبذلك أوحى الإشارات المنبثقة عن النسق الفكري لعتبة التنويه، باليقظة الوطنية عند الكاتب من ناحية، وعن قدرة الكاتب على الربط بين الحس الأدبي، والحس الوطني من ناحية أخرى.
- خاتمة البحث:**
- بعد هذه الرحلة العلمية في عتبات رواية: (سائر العتمة)، ومعرفة طاقاتها الدلالية، وأبعادها الجمالية، يمكن الوقوف على أبرز النتائج التي خلص إليها البحث، على النحو الآتي:
- اتسمت رواية: (سائر العتمة) بوجود خيط متصل بين عتباتها، والمقاطع السردية، بدءاً من العنوان، ولوحة الغلاف، ومروراً بالتنويه، والإهداء والشكر، ووصولاً إلى العناوين الفرعية الداخلية، لذلك حظيت العتبات النصية بخصوصية نسقية، ذات أبعاد فكرية مترابطة، تدور في فلك البنية المركزية للنص الروائي، المعبرة عن جدلية الاعتقال بين السجان والسجين.
- تمثل العتبات النصية أنساقاً فكرية منتجة لدلالات موازية لدلالات المتن، محققة بذلك مساراً تواصلياً محفزاً على الإقبال على قراءة العمل، والوقوف على العلاقات الرابطة بين العتبات ومتونها، كونها تتطوي على حمولات ثقافية، وآفاق معرفية، قادرة على التوالد الدلالي والجمالي.
- أقام الكاتب عتباته النصية على المزاجية بين مكان الاعتقال وزمانه، لا سيما عنوان روايته: (سائر العتمة)، الذي جمع بين الألم والأمل، وأرخ لمرحلة مهمة من تاريخ المقاومة الفلسطينية، وحين ننظر إلى عتبات الرواية، نجد أنها تستدعي سؤال الذاكرة عن مكان الاعتقال، وزمانه، وأساليب التحقيق، والمعاناة الجسدية، والنفسية، وحجم التضحيات، وسبل الصمود، والتحدي، ومدى علاقة عتبات النص بالأبنية السردية.
- يمتد أثر العنوان، ولوحة الغلاف، والإهداء، والتنويه إلى عناوين الرواية، حيث نرى تنوع المكان، وتباين أساليب التحقيق التي استحضرها الكاتب، رغم الآلام التي تنتابه عند تذكرها، ومن هنا استطاع الكاتب أن يربط العتبات بالنص، من خلال ذلك الزخم الثقافي عن أساليب التحقيق الجسدية، والمعنوية، التي يمارسها السجان الصهيوني على السجناء، والتي شكلت مجرى أحداث الرواية.
- تتجلى أهمية عتباتي: العنوان، والغلاف، من خلال الوظيفة الإغرائية لهما، التي تحقق فاعلية الإثارة والتشويق، وقد نجحت العتبات في ذلك، بدليل أن الرواية طبعت عدة طبعات، مما يبين عمق تأثير المتلقي بالعتبات، وما أوحى به من طاقات دلالية، وآفاق إيحائية.
- هناك نسق فكري يربط عتبة الغلاف بالمتن الروائي، ذلك أن مكونات عتبة الغلاف، وما تحويه من قضبان السجن، ووجه السجين، والألوان، موجودة في نص الرواية، وبالتالي فإن صورة الغلاف توحى بمحتويات الرواية، وهذا يكشف عن حجم التقاطع بين المقاطع السردية، وعتبة الغلاف، بل إننا نستطيع القول: إن المقاطع السردية هي امتداد للنسق الفكري للغلاف، وبذلك نجحت الفنانة في أن تعيش تجربة موازية لتجربة كاتب الرواية.

## المصادر والمراجع:

- إبراهيم مصطفى، وآخرون، (د.ت)، المعجم الوسيط، (د.ط)، المكتبة الإسلامية، تركيا.
- الجاحظ، أبو عثمان بن بحر الجاحظ، (1992)، الحيوان، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (د.ط)، دار الجيل، بيروت.
- جميل حمداوي، (1997)، السيميوطيقا والعنونة، عالم الفكر، المركز الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، المجلد الثاني، العدد الثالث.
- جان كوهين، (1986)، بنية اللغة الشعرية، ترجمة: محمد الولي، ومحمد العمري، ط1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء.
- أبو الحسن بن رشيق القيرواني، (2006)، العمدية في محاسن الشعر، وآدابه، ونقده، ط1، دار الطلائع، القاهرة.
- حميد الحمداني، (2002)، عتبات النص الأدبي، مجلة علامات في النقد، النادي الأدبي، جدة، المجلد 12، ج 46.
- سيزا قاسم وآخرون، (1986)، أنظمة العلامات في اللغة، والأدب، والثقافة مدخل إلى السيميوطيقا، (د.ط)، دار الياس، القاهرة.
- صدوق نور الدين، (1994)، البداية في النص الروائي، ط1، دار الحوار، اللاذقية، سورية.
- أبو عبد الله بن اسماعيل بن المغيرة، (1989)، الأدب المفرد، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط3، دار البشائر الإسلامية، بيروت.
- عبد الرزاق بلال، (2000)، مدخل إلى عتبات النص، دراسة في مقدمات النقد العربي، ط1، دار إفريقيا الشرق، الدار البيضاء.
- عبد الفتاح الحجمري، (1996)، عتبات النص البنية والدلالة، (د.ط)، منشورات الرابطة، المغرب.
- عبد المالك أشبيهيون، (2005)، عتبات الكتابة في النقد الأدبي الحديث، مجلة علامات في النقد، النادي الأدبي، جدة، المجلد 11، ج 58.
- عزوز علي اسماعيل، (2013)، عتبات النص في الرواية العربية، دراسة سيميولوجية سردية، ط1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- محمد حافظ دياب، (1985)، جماليات الألوان في القصيدة العربية، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، المجلد الخامس، العدد الثاني.
- محمد صابر عبيد، (2008)، سحر النص من أجنحة الشعر إلى أفق السرد، قراءات في المدونة الإبداعية، لإبراهيم نصر الله، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.
- محمد فكري الجزار، (1998)، العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي، (د.ط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- محمد مفتاح، (1990)، دينامية النص، ط2، المركز الثقافي العربي، بيروت.
- المختار حسني، (1997)، من التناص إلى الأطراس، مجلة علامات في النقد، النادي الأدبي، جدة، المجلد 17، ج 25.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم، (1988)، لسان العرب، (د.ط)، دار الجيل ودار لسان العرب، بيروت.
- وليد الهودلي، (2003)، ستائر العتمة، ط2، المؤسسة الفلسطينية للإرشاد القومي، رام الله، فلسطين.
- ياسين النصير، (1993)، الاستهلال، فن البدايات في النص الأدبي، (د.ط)، دار الشؤون الثقافية، بغداد.
- يوسف الإدريسي، (2008)، عتبات النص، بحث في التراث العربي، والخطاب النقدي المعاصر، ط1، منشورات مقاربات، المغرب.

ملحق:

تهتم هذه السلسلة التي تصدر عن "المؤسسة الفلسطينية للإرشاد القومي" بجمع وتوثيق الرواية الفلسطينية بأبعادها التاريخية والثقافية والاجتماعية. ومن هنا يأتي توزيعها على عناوين تخصص كل منها في مجال لتشكل في المحصلة عنواناً واحداً هو:

فلسطين رواية الذاكرة وذاكرة الرواية. الذاكرة بمعناها الواسع والمتجدد الذي يبني قوته من ذهابه نحو المستقبل.

يشرف على هذه السلسلة كتاب وأكاديميون وباحثون متخصصون. تستقي معلوماتها ومعرفتها من مختلف المصادر المتوفرة، الشفاهية والموثقة، وتخضع للتحقيق والدراسة والمقارنة، قبل أن تصل إلى يد القارئ.

إن ثغرات كبيرة، تعترض رواية الفلسطينيين عن نفسه، وهي ثغرات ساهمت فيها ظروف التشنت واللجوء والهجرة. وسياسات الاحتلال وإجراءاته. ومحاولات التذويب وطمس الهوية الوطنية الفلسطينية العربية، التي لم تتوقف منذ نكبة العام 1948، وما قبلها. ويتأسس مشروع "المؤسسة الفلسطينية للإرشاد القومي"، على محاولة سد هذه الثغرات، عبر جمع الرواية من أصحابها. مستفيدة من الجهد المبذول في هذا المجال، على أيدي كتاب ومبدعين ومؤرخين فلسطينيين وعرب وآخرين من أرجاء العالم. إن إصدار هذه السلسلة، هو في الوقت نفسه، دعوة من "المؤسسة" لكافة المهنيين للمساهمة في إغناء المشروع، ورفده بالمادة

الطبعة الثانية

سلسلة المعتقلات والسجون



ستائر  
العتمة

وليد الهودلي

